الأهرام

١٩٧٥/٢/٢٧

(١)

هل يمكن ان نجد الآن .. او نتوقع قريبا

الصوت الذى يخلف صوت أم كلثوم ؟ !

مثلما يحدث بعد رحيل كل فنان عظيم .. كان محتما ان يقع ابناء الامة العربية — بعد رحيل سيدة الغناء العربى — أسرى سؤال مسيطر ومقلق : هل يمكن ان نجد الآن او فى المستقبل القريب الصوت الذى يخلف صوت أم كلثوم .. الأسر ذى القدرات المعجزة ؟

الحق انه اذا لمكن لنا — تجاوزا — ان نعتبر احد الاصوات الحالية خليفة « المكان » .. فانه يستحيل — قطعا — ان نقر لاى صوت حالى بخلافة « المكانة » .

ان اسبابا عديدة تجعل مثل هذا الاقرار الغالى — الذى تحاول ان تستجديه الآن حملات الدعاية لبعض الاصوات — مستحيلا فى الوقت الحاضر .. ومستبعدا فى المستقبل القريب .. وان كان ينبغى ان يبقى متوقعا ولكن بنفس نسبة توقع تكرار المعجزات .. لماذا نقطع بمثل هذا الحكم ؟

ابتعادا من احاسيسنا المشاعر الخاصة .. وجنبا لتأثيرات الذوق الشخصى .. فان المقاييس العلمية وحدها هى التى تجيب ..

واولاها تلك الحقيقة التى تقول : ان اى صوت يظل ينمو ويتطور حتى يتجاوز صاحبه سن الخامسة والثلاثين .. وبعدها لا يكون هناك نمو ولا تطور .. لتوقف قدرات الصوت عند المستوى الذى وصلت اليه ..

واذا كانت اغلب الاصوات العالمية الناضجة قد وصلت بالفعل الى السن التى لا يرجى بعدها — فى ضوء الحقيقة العلمية — اية زيادة فى قدراتها .. فهل يمكن ان نجد بين مستوياتها العالمية صوتا يقترب بقدراته من صوت أم كلثوم ؟

لقد نزعت كثيرا أميره كامل أستاذة الغناء بالكونسرفتوار عندما وجهت اليها السؤال .. قالت : « هل يمكن أن نسأل من بيت يولع فى نفسه وخلوده

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام
١٩٧٥/٢/٢٧

الهرم الاكبر .. ان صوت أم كلثوم هو الهرم الاكبر الخالد فى عالم الغناء العربى .. والفرق بين قدراته وقدرات الاصوات العالمية قاسمه مشترك فى القوة او المساحة او قلة الاداء او دقة المخارج او استيعاب وممارسة الالحان الشرقية ابتداء من ايام جده الصابونى حتى الان .. وفضلا عن ذلك كله كانت ام كلثوم تغنى وتطرب لسنوات طوال بغير ميكروفون .. ولم تعرفه الا بعدما اصبح ضروريا لاذاعة حفلاتها وتسجيل اغانيها على الاسطوانات .. اين الصوت العالمى الذى يستطيع ان يغنى لساعات بغير الميكروفون ويحسن ان لا تفاجئ جمهوره !! .

وفوق كل هذه القدرات التى تحددها استطالة الغناء والتى لا يمكن العثور عليها مجتمعة فى صوت واحد من الاصوات العالمية .. لابد أن هناك خصيصة أخرى تفردت بها أم كلثوم .. يعبر عنها نجيب محفوظ بقوله :

« لقد وقفت أم كلثوم حنجرتها لوظيفتها سياسيا واجتماعيا ودينيا .. فاين الصوت العالمى الذى استطاع شيئا من هذا !!» .

. . . . . .

هل يمكن الظن أن نعثر فى المستقبل القريب على الصوت الذى يخلف صوت أم كلثوم .. من بين الاصوات الشابة العالمية التى لا تزال دون سن الخامسة والثلاثين .. وبالتالى لا تزال أمامها فرصة النمو والتطور !

ان لنا حقيقة علمية اخرى تقول : ان الصوت الذى يمكن ان يصل نموه وتطوره الى مستوى «الصوت المعجزة» .. هو الذى يقترن ظهوره اصلا ومن بداية رحلته مع الغناء بقدرات فريدة ومتميزة .. ويبقى عامل السن بالنسبة للصوت مجرد فرصة متاحة لاكتساب خبرة اكبر فى الاداء .. لكنه ـ فيما يقطع به كمال الطويل ـ لا يكسب الصوت أبدا مزيدا من امكاناته الاساسية التى بدأ بها الغناء .

« وصوت أم كلثوم عندما بدأت الغناء كانت امكاناته أكبر من خبرته .. كان يمتلك اصلا المساحة الصوتية النادرة التى تعطى الاداء المجيد فى كل الدرجات لو فى كل المقامات .. وليس فقط فى مرحلة او فى مقام واحد بقليل تمتلك فقط الاصوات العالمية . لذلك مثلا عندما نتحدث بحضور الصوت .. ونعنى به ما يتمتع به الصوت من تأثير خاص يأسر به القلوب .. وهو مالا يمتلكه اى من الاصوات العالمية والذى لا يمكن ان يأتى به اى نمو او تطور فى خبرة الاداء مع مرور السنوات . ومن هنا فاننا لا يجوز لنا ابدا ان نتوقع على من الاصوات العالمية التى لا تزال دون سن نجيب المسنوى ان تقدم لنا يوما الصوت الذى يخلف صوت أم كلثوم » .

. . . . . .

هل يعنى هذا ان نبقى بلا هوادة فى انتظار تكرار المعجزة !

ان الكثيرين من الذين تحاورت معهم حول هذا السؤال وكلهم من الاطراف التى تعيش حياتها للاغنية العربية ومعها يكاد ينعقد اجماعهم على امر واحد : الصوت الجديد المعجزة سوف يخرج من حقول القرية المصرية .. مثلما اعطتنا من قبل حقول قرية « طماى الزهايره » صوت أم كلثوم .

« يتساءل الباحث والمؤرخ الموسيقى سليمان جميل : « لماذا لا نبدأ فى الحال البحث عن الصوت البكر الذى يمكن ان يخلف يوما صوت أم كلثوم فى حقول القرية المصرية .. لقد عشت مثل هذه التجربة سنة ٦٦ عندما كلفتنى وزارة الثقافة بالقيام بمسح للاصوات البكر فى قرى المنوفية بمشاركة فى وضع خطة للثقافة الموسيقية .. هناك استمعت بالفعل الى العديد من الاصوات الصغيرة المذهلة .. ولسوء اننا كررنا المحاولة بتوسيع اكبر والتقطنا عددا من هذه الاصوات وبالاخص من مدارس المشايخ .. ووفرنا لها كل الرعاية الفنية .. فاننا سوف نضمن ان نتكرر قريبا المعجزة ... » .

هل يمكن ان يبدأ ملحنونا مثل هذه المحاولة فى حقول القرية المصرية التى لم ينضب فيها يوما « ينبوع العطاء » !!

محمد زايد

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية